

الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

[227] وهذا الفراغ السياسي قد جعلها بعيدة عن نفوذ الأديان الكبرى بشكل فعال، ولو بفرض من السلطة الحاكمة، كالنصرانية والزرادشتية، وحتى عن التأثير باليهودية التي كانت تعيش بينهم ومعهم، فبقيت المنطقة بعيدة عن الشبهات والأفكار الغربية والدخيلة، وإن كان قد تسرب إليها بعض اليهود فرارا من الرومان، ولكن لم يكن لهم أي نشاط ديني، أو لعله كان، ولكنه لم يثمر، إذ لم يكن ثمة سلطة تدعمه سياسيا وإعلاميا، ولذلك فقد اشرنا إلى أنهم يذكرون أن نصارى تغلب ما كانوا يتمسكون من النصرانية إلا بشرب الخمر (1) بل إن جميع نصارى العرب كانوا كذلك (2). وما ذلك إلا لأن النصرانية بعيدة عن عقل وفطرة الإنسان، ولا تستطيع أن تتصل بروحه ووجدانه لتفرض هيمنتها على أفعاله وسلوكه. أما الإسلام دين الفطرة الذي استطاع بفترة وجيزة أن يصنع أمثال أبي ذر، وعمار، وسلمان، فإنه يتصل أولا بعقل الإنسان، ثم بروحه ووجدانه، حتى يحوله إلى إنسان إلهي بكل ما لهذه الكلمة من معنى، وقد استطاع أن يجعل من هؤلاء المتوحشين إلى الأمس القريب، والذين لا يلتزمون بنظام، ولا يحكمهم قانون، أكثر الأمم اتباعا للنظم، وأشدّها إيمانا وأخلاصا للقانون الإلهي. كما ويلاحظ أن من رباهم النبي والأئمة في فترات وجيزة جدا. مع محدودية إمكانياتهم لم تستطع الحكومات الأخرى، حتى التي تنسب نفسها إلى الإسلام أن تأتي بأمثالهم، رغم توفر كل الإمكانيات لها، الأمر الذي يشير بوضوح إلى الدور الكبير الذي يضطلع به القائد والحاكم الحق _____ (1) المصنف للصنعاني ج 6 ص 72 وج 7 ص 186 والسنن الكبرى ج 9 ص 284. (2) المصنف للصنعاني ج 6 ص 72 و 73 وج 7 ص 186 والسنن الكبرى ج 9 ص 217. (*) _____